كلمة حق في جماعة التبليغ والجماعات الإسلامية

تأليف
خالد بن عبد الرحمن

رقم الإيداع:
٢٠٠٥/٢٤١٠١

الموزع الوحيد: دار الإمام المجدد

كلمة حق

في

جماعة التبليغ

والجماعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

فقد قدر الله – تبارك وتعالى – أن تفترق أمة الإسلام فرقًا وأحزابًا، وكان ذلك قدر من الله سابق لا مفر منه كما روى الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٩٤ وغير ما موضع منه وغيره عن جابر ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

قال رسول الله ﷺ: " **أعوذ بوجهك** "

قال: ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ قال : " **أعوذ بوجهك** "

﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ قال رسول الله ﷺ : " **هذا أهون أو هذا أيسر** " .

قلت : وهذه الشيع والفرق تتفاوت في بعدها عن الحق واتباع السلف بل قد يشتد بعدهم عن السلف إلى حد الأقوال التي تستلزم كفر قائلها بعد قيام الحجة عليه .

والحاصل أنني – ولله الحمد – من أيام صغري قد منَّ الله عليَّ بالتمسك بالفرائض وكان من أسباب ذلك – بعد فضل الله أولاً – التحاقي ومعرفتي بجماعة من الجماعات الإسلامية القائمة في الساحة اليوم ألا وهي جماعة التبليغ فكان لهم أثر عظيم في سلوكياتي وأخلاقي، وبدأت رحلتي معهم واستمرت سنوات تزيد على خمس عشرة سنة، ورأيت منهم اهتمامهم بالعبادات من قيام ليلٍ وصيام نهارٍ وجهد متواصل في الدعوة إلى الله ﷻ فزاد ذلك من تمسكي بكثير من الطاعات التي تناسب سني آنذاك، وبعد سنوات قليلة من وجودي معهم حُبِّبَ إلى قلبي العلم وكنت أسمع منهم فضل العلم والعلماء ولكن لم أكن أجد فيهم ذلك العلم حتى أتلقاه منهم وكانوا يقولون – وما زالوا – نتعلم الفضائل في الخروج – أي الخروج في الدعوة – فإذا رجعنا من الخروج نتعلم من العلماء المسائل – أي الأحكام – .

وبدأت أحب العلم مما سمعته منهم ومن غيرهم ثم هيأ الله ﷻ لي أن

تعرفت في سن مبكرة على إخواننا السلفيين من أهل الحديث – أكـــرمهم الله – فبدأت أجد في منهجهم بغيتي وعلمت أن العلم: **قال الله قـــال رســـوله قـــال السلف،** وعلمت الصحيح من الضعيف، والبدعة من السنة وأكثر ما علمت ذلك من أشرطة الإمام الألباني – رحمه الله – والعلم الفقيه ابن باز والشيخ الفاضل ابن عثيمين – رحمهم الله جميعًا – .

ثم بدأت أجتهد في تحصيل العلم الشرعي بجهد فردي من غير شيخ موجه وإنما رسالة أقرأها أو كتاب أو شريط لأحد العلماء الثلاثة وهكذا ما زلت أخرج في التبليغ ومعي أشرطة ابن عثيمين شرح سبل السلام وأحيانًا كتب الشيخ ناصر وأنا في ذلك كله يزداد حبي لجماعة التبليغ وشيوخها وأستشعر فـــضلهم علـــيَّ وكنت قليل الاختلاط مع إخواني السلفيين حتى إنني أكاد لا أحضر مـــساجدهم إلا في النادر اللهم إلا أن يحضر الشيخ ناصر فلا بد أن أحضر – بعد أن عرفـــت من هو الشيخ ناصر – وربما سألت الشيخ بعض المسائل كما هو الحال في مجالس الشيخ وكان حضوري لدرس الشيخ نادرًا حسب قدوم الشيخ للبلد الذي كنت فيه في ذلك الوقت وهي دولة الإمارات .

ولما أكرمني الله بفهم منهج الحق الذي عليه أهل الحديث قديمًا وحديثًا متمثلاً في العلماء وطلبة العلم المشهود لهم من العلماء – وكان لبعض إخواني من السلفيين فضل في ذلك – بدأت أرى في جماعة التبليغ أمورًا أرى أنها تخالف ما كان عليه السلف، فبدأت مع قلة علمي أُنكر ما أظن مخالفته لما أعلمه من تلك الأمور المخالفة، وبدأت أرى في الجماعة بعض النقص فما زلت أستنكر منهم تلك الأمور ويزداد تعلق قلبي بالعلم وبالدعوة حتى أصبح بعض إخواني في التبليغ ينظرون إليّ نظرة فيها شيء من الإنكار لما أستنكره فيهم .

ومع هذه الأحداث كان إخواننا من أهل الحديث السلفيين يحذرون من جماعة التبليغ لما فيهم من بُعد عن منهج السلف الصالح، وكنت أرى أن الجماعة على الحق في ظني من جهة ولقلة علمي من جهة أخرى ولعاطفتي الشديدة تجاههم فبدأت أدافع عنهم دفاعًا قويًّا لا أهاب أحدًا في المناقشة لظني آنذاك أنهم على الحق وإن كان فيهم بعض الأخطاء وكنت أقول:

إن هذه الأخطاء لا تضر بأصل دعوتهم وقد فرحت فرحًا عظيمًا لَمَّا رأيت الشيخ ابن باز يُثني عليهم مع تنبيههم لبعض أخطائهم، فكانت هذه الفتوى من الشيخ بالنسبة لي خيرًا عظيمًا فانضافت إلى ما تقدم مما ذكرت من الأسباب التي زادت تعلقي بهم ودفاعي عنهم وكنت كثيرًا ما أستند في مناقشاتي لفتوى الشيخ القديمة .

ثم بدأت أستمع لفتوى الشيخ ناصر الألباني في جماعة التبليغ وقوله فيهم إنهم صوفية عصرية، مع تعظيمي للشيخ وحبي له فأثارتني تلك الفتوى ولا أنكر أنني قد ضاق صدري من تلك الفتوى، فكان بعض إخواني من أهل الحديث السلفيين يحتجون عليَّ بفتوى الشيخ وكنت أقول: أنا لا أعتمد على فتوى الشيخ لأنه قد خالفه غيره من أهل العلم المعتبرين كالشيخ ابن باز — رحمهما الله — فلم تُثني فتوى الشيخ ناصر عن موقفي من جماعة التبليغ وبقيت على موقفي حتى تمنيت أنني لو التقيت مع الشيخ لأستفيد منه وأناقشه في رأيه من الجماعة .

وفي يوم سمعت أن الشيخ ناصر سيقدم الإمارات ويقيم أيامًا فعزمت على أن ألتقي مع الشيخ لأتكلم معه في المسألة مع صغر سني وقلة علمي ولكنني تعلمت من الشيخ — من خلال أشرطته — أن المنهج السلفي هو اتباع الدليل دون التعصب للرجال فطلبت من بعض إخواني — جزاهم الله خيرًا — أن يرتبوا لي مع الشيخ لقاء للكلام معه في المسألة وتم ذلك ووافق الشيخ — رحمه الله — وكانت هذه الجلسة في منزل بعض إخواننا في الشارقة وأفاض الشيخ في المسألة وظهر لمن حضر تلك الجلسة قوة نظر الشيخ وضعفي في مناقشة الشيخ ولكنني لعاطفتي الشديدة تجاه الجماعة ولأسباب أخرى بقيت على ما أنا عليه — ولا أنكر ذلك —

وأثَّرت فيَّ تلك الجلسة ولكن لم يكن تأثيرها مما جعلني أغير موقفي تجاه الجماعة بل كنت ألتمس لهم العذر دائمًا وأتأول لهم أحيانًا بعض أخطائهم وهكذا.

ولما رأيت كثيرًا من أهل السنة **يحذرون من الجماعة ويدعون أنهم** ليسوا

على منهج السلف لاسيما في العقائد قررت أن أخرج إلى بلاد العجم حتى ألتقي برؤوس الجماعة رأسًا وأسألهم في بعض تلك المسائل؛ هذا من جهة وأستفيد منهم في الدعوة من جهة أخرى وتم ذلك فعلاً وظهر لي من خلال مناقشتي مع شيوخ التبليغ أنهم – حينها في ظني – على المنهج السلفي فرجعت وقد عزمت على أن أكتب كتابًا أبيِّن فيه أنهم على منهج السلف وأن دعوتهم لا تخالف ما كان عليه السلف الصالح – رحمهم الله – .

قصة تأليف الكتاب الأول

عزمت على أن أؤلف كتابًا أبيِّن فيه منهج الجماعة وأسميته: **وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك** وبعـد أن جمعت مادة الكتاب اتصلت على الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – وسألته عـن رأيه في الجماعة فأثنى على أهل بلده من الجماعة وتحفَّظ على غيرهم من الجماعة في بلاد العجم الهند والباكستان، ثم أخبرت الشيخ بقصة الكتاب وطلبت منـه النصح فنصحني – وليتني عملت بنصحه – ألاَّ أنشر هذا الكتاب بين النـاس لأن الناس قد اختلفوا فيهم بين قادح ومادح وقال إن كان ولا بد فاكتـب رسـالة واجعلها خاصة بك ولمن يريد أن يطالعها من إخوانك ولا تنشرها .

ولم أر الصواب فيما قال الشيخ – رحمه الله – وقلت له – رحمـه الله – كيف أسكت عما أعتقد أنه الصواب؟ فقال الشيخ – رحمه الله – أنت وما ترى.

قلت: لاسيما أن بعض الرسائل والكتب قد أُلفت في الرد عليهم فرأيـت أن الأمانة تقتضي بيان الحق الذي أدين الله به دون مجاملة أحد من الناس لاسيما أن الشيخ ابن باز وقتها كان ينافح عنهم مع بيانه لبعض أخطائهم – وقـدر الله وما شاء فعل – وطبع الكتاب وانتشر بين الناس لاسيما في الجماعة _ أعني جماعة التبليغ _ وكان تأليفي لهذا الكتاب عن غير تكليف من الجماعة بل فعلت ذلـك بيانًا للحق الذي رأيته في ذاك الوقت .

ولمَّا انتشر الكتاب بين الناس بدأت تظهر لي أمور جعلتني أتردد فيما كتبته

فيهم وكان بعض إخواني الذين يحبونني يراجعونني في الكتاب وأنني أخطأت فيه فيما يخص جماعة التبليغ وكان بعض هؤلاء الإخوة يتلطفون في مناقشتي وبعضهم يشدِّد بل يهجرني، وبعد سنوات شيئًا فشيئًا تبيَّن لي أنني - والله — كنت مخطئًا فيما ادعيته أن الجماعة على منهاج السلف — وأستغفر الله — فبدأت أنتقد الجماعة بلطف ورقة في بعض الجلسات ثم طالبني كثير من إخواني من طلبة العلم أن أرجع عن الكتاب فيما يخص جماعة التبليغ فكنت أعتذر وأقول: لا أرى في ذلك مصلحة وأذكر ما أراه من الأسباب التي تمنعني من ذلك حتى أكرمني الله والتقيت بالشيخ ربيع — حفظه الله — في بيته في مكة فطلب مني أن أبيِّن الحق وأن أرجع عن ذلك الكتاب وكان — والله — رقيقًا في طلبه حليمًا، فوعدت الشيخ أنني سأكتب – إن شاء الله — ومضى زمن ولم أفعل ثم عدت وزرت الشيخ مرة أخرى في بيته فكرر الشيخ طلبه وكان في هذه المرة حليمًا إلا أنه قال لي كلمة: ما لك أسرعت في الباطل وأبطأت في الحق ؟!

وهو يبتسم ترفقًا بي — أكرمه الله — فوعدته مرة أخرى بأنني سأفعل — إن شاء الله — ثم التقيت قبل المرة الثانية بالشيخ علي بن حسن الحلبي في الإمارات فطلب مني أن أكتب كذلك ووعدته بذلك.

فرأيت لزامًا عليَّ فيما أدين الله به أن أوفي بما وعدت وإلا كان في المسألة ريبة، فكتبت هذا الكتاب لأُبيِّن فيه رجوعي فيما أخطأت فيه ولكن أحب بيانًا للحق أن أقول : إنني إنما كتبت كتابي هذا لا مجاملة لأحد من الناس ولو كنت مجاملاً أحدًا لجاملت الشيخ الألباني — رحمه الله — وإنما قد أيقنت بخطئي في

تزكيتي لجماعة التبليغ ودعواي أنهم على منهج السلف ولو لم أتيقن من خطئي لما رجعت عن شيء أدين الله به، بل ولرددت على المخالف – مع التزامي بالأدب – كما فعلت سابقًا في ردي على العلامة الشيخ تقي الدين الهلالي – رحمه الله – ولكن **الحق ضالة المؤمن، ولرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل** .

محتوى الكتاب الأول

وقبل أن أبدأ فيما قصدت أرى من الضروري أن ألخص ما حواه كتابي – وجوب الدعوة – لأنني إنما رجعت في هذا الكتاب فيما يخص جماعة التبليغ وأما في غير ذلك فإنني قررت مسائل ازددت بها بصيرة فأحببت بيان ذلك حتى يتضح الأمر ولا يلتبس فأقول وبالله أعتصم :

يقع كتابي الأول في ٢٢١ صفحة وقد قسمته ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

و يحوي مسائل :

الأولى : إلام كانت دعوة الأنبياء ؟

وأبنت أن دعوة الأنبياء كانت منصبة على أمرين رئيسين :

أولهما : الدعوة العقائدية وتشمل أمورًا ثلاثة؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات .

والأخرى : الدعوة العملية وهي الأحكام الشرعية التكليفية من أوامر ونواهي شرعية .

والثانية : أهمية العقيدة في حياة الأمة الإسلامية .

وأبنت تحت هذا العنوان أن الأمة الإسلامية إنما سر قوتها وعزتها التوحيد وبه يعزهم الله كما حصل في الزمن الأول وبدونه لا عزة لهم ولا كرامة .

والثالثة : شبهة وجوابها .

وأبنت في هذا العنوان شبهة يثيرها بعض الجماعات الإسلامية وهي قولهم لماذا نفرق جمع الأمة في مسائل خلافية كمسألة الأسماء والصفات ونشتغل بذلك عن الواجب الأهم وهو جهاد الكفار وتحرير بلاد المسلمين من العدو، فالواجب أن لا نفرق الجمع بمثل هذه المسائل الخلافية .

ورددت على هذه الشبهة بما حاصله أن أمور العقائد هي أصل الأصول التي يجب الاعتناء بها وأن السلف وإن اختلفوا في أمور كثيرة إلا أنهم — ولله الحمد — متفقون في مسائل العقائد كمسألة الأسماء والصفات لله، فلا يجوز التهاون في هذه المسائل التي لم يختلف فيها السلف ونجعلها كالمسائل التي تنازعوا فيها وأنه لا يجوز أن نجمع الأمة على غير تصفية وبيان للدين لأن الله لم يأمرنا بمطلق الجمع وإنما أمرنا بالجمع على الكتاب والسنة الصحيحة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

والرابعة : ما الواجب على دعاة اليوم ؟

وبينت هنا أن الواجب على الدعاة اليوم الدعوة إلى ما دعا إليه الأنبياء وهي الدعوة العقائدية والدعوة العملية وبوضوح أكثر الدعوة إلى الكتاب والسنة الصحيحة والتحذير مما دخل في الإسلام من بدع وضلالات وتربية الناس على ذلك .

الخامسة : وجوب التقيد والالتزام بفهم السلف الصالح — رحمهم الله تعالى — .

وقد بينت تحت هذا العنوان أن قولي المتقدم وهو أن الواجب على الدعاة

في هذا الزمان الدعوة إلى الكتاب والسنة فيه إجمال لا بد من بيانه لأن الدعاة كلهم يدَّعون هذه الدعوى ومع ذلك تجد مناهجهم مناقضة لبعضها، فأبنت أن الدعوة للكتاب والسنة لا بد أن تكون بفهم السلف الصالح ولا بد أن نفهم النصوص من الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح وبهذا القيد تنضبط الدعوة وتؤتي ثمارها والسر في التقيد بفهم السلف لأنهم – الصحابة والتابعين وتابعي التابعين – قد علموا مراد الشرع يقينًا وفهموه ضرورة فلذا أثنى عليهم رسول الله ﷺ وأمر باتباعهم فإذا ما اتفق السلف على قول سواء في المسائل العقدية أو المسائل العملية وجب اتباعهم ضرورة وحرمت مخالفتهم .

السادسة : شبهة وجوابها .

وأبنت تحتها أن كثيرًا من الدعاة في هذا الزمان الذين لا يهتمون بالعقيدة في دعوتهم ويتنصلون من اتباع السلف يحتجون أن السلف قد اختلفوا في مسائل كثيرة من الشرع فكيف يلزمنا أن نتقيد بفهمهم مع كونهم قد اختلفوا في كثير من المسائل ؟!

وأزلت هذه الشبهة بقولي إن السلف وإن كانوا قد اختلفوا في كثير من المسائل العملية إلا أنهم والحمد لله على قول واحد في المسائل العقدية كمسألة الأسماء والصفات لله – تبارك وتعالى – فقياس الخلاف في المسائل العقدية على الخلاف في المسائل العملية قياس مع الفارق، والحاصل أن ما اختلف فيه السلف جاز لمن بعدهم الخلاف فيه ما لم يكن الدليل صريحًا وأما ما اتفق فيه السلف سواء من الأمور العقدية أو العملية فلا يسع أحدًا الخلاف فيه .

السابعة : بيان عقيدة السلف الصالح .

ونقلت رسالة الإمام أبو إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني — رحمه الله — والتي جمع فيها منهج السلف الصالح في كثير من المسائل العقدية وختمت هذه الرسالة بقولي إنها ما أدين الله به ثم نقلت عن الإمام الشاطبي — رحمه الله — مبحثًا في ضرورة التقيد بفهم السلف الصالح للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة وأن أهل البدع يتمسكون بنصوص شرعية يحملوها بفهمهم ما لا تحتمله تلك الأدلة والسر في غلطهم عدم مراعاة فهم السلف الصالح — رضي الله عنهم — .

هذا ملخص الفصل الأول من كتابي الأول وإني ولله الحمد قد ازددت اليوم بفضل الله يقينًا بما بينته وأوضحته لم أرجع عن ذلك من شيء وما زلت إلى اليوم أدعو إلى ذلك وأصدع به هنا في بلدي مصر مع ندرة من يتمسكون بهذا المنهج عمليًّا، وأسأل الله أن يثبتني على ذلك المنهج الحق ما بقيت من عمري — والله المستعان — .

الفصل الثاني من كتابي الأول

وفي هذا الفصل أكثر ما رجعت عنه فيما يخص جماعة التبليغ وسأبين ذلك — إن شاء الله — فأقول وبالله أعتصم - :

جعلت هذا الفصل مباحث وهي كالتالي :

١- التعريف بجماعة التبليغ ونشأتها ومؤسسها .

٢- منهج جماعة التبليغ في الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح .

٣- منهج جماعة التبليغ تجاه عقيدة السلف الصالح .

٤- منهج السلف تجاه الجهاد .

٥- منهج جماعة التبليغ تجاه الجهاد .

٦- وسائل جماعة التبليغ في دعوتهم .

٧- أسئلة متفرقة لشيوخ جماعة التبليغ .

هذه هي المباحث التي تضمنها الفصل الثاني وأريد قبل أن أبين خطئي أن ألفت النظر أن ما ذكرته من منهج السلف في الجهاد أنني ما زلت على ما بينت وأن ما بينته هو ما أعرفه عن السلف وعن علماء الدعوة السلفية حديثًا — رحمهم الله — وعلى رأسهم أئمة الهدى الثلاثة — الفقيه ابن باز والمحدث الألباني والفقيه ابن عثيمين — جزاهم الله عن الإسلام خيرًا .

وحاصل ما بينته من منهج السلف تجاه مسألة الجهاد أن الجهاد لا بد قبله

من توفر أمور :

١- التربية والدعوة على منهج السلف الصالح عقيدةً وعملاً .

٢- القوة والعدة المادية .

٣- تميز الصفوف فلا يصح أن نقاتل دولة كافرة فيها جماعات من المسلمين لا يستطيعون الخروج منها ولا يمكن مقاتلة الكفار إلا بقتل المسلمين المخالطين لهم .

٤- وجود الإمام الذي يقود المسلمين للجهاد في سبيل الله ﷻ وأنه لا يصح الجهاد بغير الإمام - أعني جهاد الدعوة وهو دعوة الكفار ونشر الإسلام في ديارهم - وأما جهاد الدفع - وهو رد كيد الكفار الذين اعتدوا علينا - فهذا لا يشترط فيه الإمام .

هذه الأمور الأربعة قررتها في هذا الفصل الثاني وما زلت أدين الله بها .

أقول : وهذا أوان بيان الخطأ وليعلم القارئ أنني بيَّنت ما أخطأت فيه ورجعت عن خطئي تبرئة لمنهج السلف من أن ينسب إلى منهجهم من ليس كذلك بل هو خلاف ذلك .

وحتى لا يحتج بكتابي أحد من الناس فيما يخص جماعة التبليغ وإني أبرأ إلى الله من وزر من اعتمد على قولي واحتج به بعد هذا البيان وأتوب إلى الله فيما أخطأت فيه فمن أراد تزكيتهم فلا يجعلني واسطة ولا يتخذ من كتابي حجة فإني أعلنها صراحة أن جماعة التبليغ بل وكل الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين وغيرهم ليسوا على منهج السلف — والله — وإن انتسب من انتسب إلى منهجهم

فإنها دعاوى عارية عن الدليل والبرهان وواقع تلك الجماعات يخالف ذلك — ورب الكعبة — فقد أعذرت لمن يحتج بكتابي وأبنت والله حسبي ووكيلي ولست راجيًا مرضاة أحد ولا مجاملاً أحدًا وإنما مبينًا — إن شاء الله — لوجه الله تعالى فليمدح مادح أو فليقدح قادح فمن عمل لله — وأرجو أن يكون عملي كذلك - لم يبال بمدح مادح أو قدح قادح .

ابتدأت هذا الفصل الثاني بالتعريف بنشأة جماعة التبليغ — نقلاً عن الشيخ أبي الحسن الندوي — ثم عنونت بعد ذلك بقولي — كما قدمت — منهج جماعة التبليغ في الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح — وقصدت بهذا أن أبين أن الجماعة تلتزم فهم السلف في دعوتها، ونقلت عن الشيخ عمر بالمبوري — وهو من كبار شيوخ الجماعة وأشهر من نار على علم لدى الجماعة - عفا الله عنه - وقد توفي بعد سنوات من تأليف كتابي — أقول نقلت عنه كلامًا قويًّا في وجوب فهم الكتاب والسنة بفهم السلف — وهذا بلا شك من ضمن الأسباب التي جعلتني أنتصر لهم — وما قاله الشيخ حق لا شك فيه وأقول اليوم نعم صدق الرجل ولكن أين واقع الجماعة من هذه الدعوى ؟!

ليعلم القارئ أنه ما من جماعة من الجماعات الإسلامية في الساحة اليوم إلا وهم معظمون للصحابة ﷺ وللسلف بل تجد الأشعري أو الصوفي يثنون على الأئمة إلا من أضله الله ضلالاً عظيمًا فتكلم في أئمة السلف وهم مع ذلك مخالفون لأولئك الأئمة وتجد كثيرًا من الجماعات الإسلامية يعظمون الصحابة والسلف والأئمة ﷺ بل ويأمرون باتباعهم ولكن هم في واد والسلف في واد

آخر وهذا معلوم لمن خبر حال القوم .

إذًا فمتى تكون تلك الدعوى صادقة ؟

أقول : تكون صادقة عندما تُتحقّق عمليًا في مدعيها وإلا كانت مجرد دعوى لا أساس لها من الواقع وإني – والله – أخطأت عندما اعتمدت على دعوى الشيخ دون النظر إلى الواقع العملي للجماعة وإلا لو نظرت إلى واقعهم – بعيدًا عن العاطفة – لظهر لي أنهم ليسوا كما ادعى الشيخ بالمبوري – رحمه الله – .

بيان ذلك أنني خالطت الجماعة سنين طويلة ما يقارب عشرين سنة أو دونها بقليل وكنت أرى بأم عيني أشياء تناقض منهج السلف صراحة ولكني – كما قدمت – كنت ألتمس العذر للجماعة قدر المستطاع وقبل أن أخوض في البيان أقول :

إن من يدعي السلفية لا بد أن يظهر أثرها في نفسه وفي أتباعه الذين يوافقونه على دعوته ويناصرونه فيها فإنك إذا نظرت إلى أهل الحديث السلفيين تجد أن الدعوة السلفية لها ثمارها الواضحة فتجد فيهم – ولله الحمد – قديمًا وحديثًا العلماء الراسخين في العلم وطلاب العلم النابغين وتجد السلفية في حياتهم وفي عباداتهم ذلك لأنهم دعاة سلفية بحق وهذا الأثر هو أمر لازم لا ينفك لمن ادعى السلفية وكذلك الأمر في أهل البدع فإنك ترى فيهم دعاة الضلالة وكذا ترى طلابهم ولا أظن أن أحدًا يخالفني في هذا التقرير لا من يمدح جماعة التبليغ ولا من يذمهم أن الدعوة لا بد أن يظهر لها ثمرة عملية لاسيما مع طول الزمن .

أرجع فأقول :

لقد ظهرت دعوة التبليغ من قرابة قرن تقريبًا – مئة عام – وتمكنت دعوتها في كثير من البلاد والعباد سواء في بلاد العرب أو بلاد العجم – كالهند – بل تعدت دعوة الجماعة إلى ما هو أبعد من ذلك فوصلت بلاد الكفر – أوروبا وروسيا وأمريكا – كما هو معلوم مشاهد واقتنع بالدعوة ألوف بل أكثر، ترى لو كانت تلك الدعوة من منهاجها اتباع السلف ترى ما الأثر الذي سنجده في دعوتهم ؟

الجواب: بالطبع هو ما قدمته آنفًا أننا نرى فيهم دعاة السلفية علماء وطلاب علم كما هو الحال في أهل الحديث السلفيين لأن ذلك من لازم وأثر الدعوة، فهل وجدنا هذا في الجماعة أو على الأقل ولو بعض العلماء السلفيين الذين برزوا فيهم وظهر منهم العلم السلفي والدعوة السلفية – كالشيخ أحمد شاكر المصري أو حامد الفقي أو محمد بن إبراهيم أو الألباني أو ابن باز أو العثيمين رحمهم الله جميعًا – هل وجدنا في جماعة التبليغ عالمًا سلفيًّا ظهر بالدعوة السلفية ؟!

نعم أنا أعلم أن في جماعة التبليغ علماء في المذهب الحنفي لاسيما في بلاد العجم ولكن هذا شيء والذي نسأل عنه شيء آخر.

أقول: لقد استطاعت هذه الجماعة أن تعلم الناس وسائلها المعروفة حتى أنك تجد كلامًا واحدًا في شتى بقاع الدنيا وأصولاً متواترة عندهم فلو كانت هذه الجماعة تحمل الدعوة السلفية بحق لوجدت السلفية في أتباعهم كما وجدت

اتفاقهم في وسائل دعوتهم .

إن الذي رأيته في الجماعة على مدار تلك السنين أن أكثرهم عوام والعلماء الذين يؤصلون لهم الأصول لاسيما في الهند والباكستان هم — من كان منهم عالمًا — علماء أحناف وهذا معلوم جدًّا بل هو متواتر لمن خالط القوم لاسيما شيوخهم ولذلك كان من أسئلة الشيخ الألباني — رحمه الله — في المناقشة التي أشرت إليها في مطلع البحث سألني الشيخ عن مشايخ التبليغ هل هم سلفيون؟

قلت : نعم .

قال : هل صليت معهم ؟

قلت : نعم .

قال : كيف رأيتهم يصلون ؟

قلت : صلاة الأحناف .

قال : لأنهم سلفيون ؟!

وهذا الكلام من الشيخ إذا تدبرته ينبئك عن حقيقة لمستها لمس اليد وعشتها بنفسي ألا وهي أن القوم أعني كبراءهم لاسيما في الهند والباكستان لم يحققوا اتباع الحديث في شيء يسير جدًّا لا عناء فيه وهو الصلاة فكيف يحققون السلفية فيما هو أبلغ من ذلك ؟!

إنك تجد طلاب العلم الصغار أول ما يتعلمون السلفية تجدهم يحرصون على صلاة النبي ﷺ لماذا ؟

لأنهم وجدوا من يرسِّخ فيهم السلفية من طلاب العلم وإنني والله لأتعجب من نفسي كيف غاب عني فهم حال القوم وحالهم أظهر من أن يخفى ولكن أراد الله أمرًا .

إن الذي أجزم به أن دعوة تعيش مئة عام أيًّا ما كانت التبليغ أو الإخوان أو الصوفية لا يظهر فيهم عالم سلفي تشتهر عنه دعوته السلفية لدعوة من المحال قطعًا أن تكون على منهج السلف وأهل الحديث فسبحان الله كيف تغيب الواضحات ؟!

نعم — والحق يقال — إن في جماعة التبليغ أناسًا من أهل السنة من السلفيين القليلين جدًّا الذين ما زالوا يناصرونهم على دعوتهم لم يستبن لهم أمرهم — كما كان حالي من قبل — ولكن هؤلاء القلة النادرة فيهم — والله ما تعلموا السلفية إلا من أهل الحديث لا من الجماعة — وهذا عندي معلوم من خلال ما قضيته في الجماعة من سنين طويلة وإلا فليرنا إخواننا من الإخوان أو التبليغ أو الصوفية أو غيرهم من الجماعات الإسلامية الحزبية عالمًا واحدًا سلفيًّا منذ نشأة الدعوة ومن هو وأين طلابه وأين رسائله السلفية أو كتبه أو أشرطته أو دروسه ؟

أما أنا فأشهد أنني ما رأيت ذلك بل وجدت بعض شيوخ الجماعة متأثرًا بالدعوة السلفية ولكنه لا يتكلم من قريب ولا من بعيد في المسائل العقدية التي كثر فيها التراع بين أهل الحديث ومن خالفهم من أهل البدع .

وأذكر - والله — أنني لما كنت في صدد تأليفي لكتاب التبليغ دخلت على الشيخ إنعام الحسن — وكان هذا في أحد اجتماعاتهم في بنجلاديش وقد توفي من

سنوات بعد تأليفي للكتاب ولما عُرض عليه شيء من الكتاب بواسطة الشيخ زين العابدين وهو من كبار علماء الجماعة دعى لي الشيخ إنعام الحسن فقال: أيد الله بك الإسلام. وإنعام الحسن أمير الجماعة في وقته بعد الشيخ يوسف ابن الشيخ إلياس مؤسس الجماعة — أقول:

فدخلت على الشيخ موضعه فسألته مسائل منها .

قلت : ما تقولون في مسألة التوسل بالنبي ﷺ؟

فقال : هذه من المسائل الخلافية ونحن لا نتكلم في المسائل الخلافية .

وكان رده علي باللغة العربية .

نعم هذا موقف رأس التبليغ في وقته وأعلمهم أو من أعلمهم الشيخ إنعام الحسن أمير التبليغ في وقته فهل هذا هو موقف السلف من مثل هذه المسائل ؟!

لا والله ما كان هذا موقف السلف بل كانوا يبينون العقائد بالحجة والبرهان .

الشيخ إنعام الحسن أبو الزبير كان رجلاً مهابًا عالمًا بالمذهب الحنفي مليح الوجه وقورًا قليل الكلام جدًّا واشتهر بذلك — عفا الله عنه — أحببته حبًّا عظيمًا حتى إنني لما ألفت كتاب التبليغ أطلقت عليه كلمة الوالد، لم أطلقها على غيره في الكتاب، ثم فوجئت أن ذلك الشيخ يبايع على الطرق الصوفية الجشتية وغيرها والذكر المفرد — الله الله الله — وذكر التنفس وهو أن يجري اسم الله على قلبه ثم يخرجه بالنفس محركًا رأسه، وثبت عنه ذلك من **أكثر من وجه من طريق** أفراد الجماعة الذين كانوا يحبونه بل يخدمونه، **وهنا قصم الرجل ظهرنا ولما** راسله

الشيخ سعد الحصين – وكان من قبل ينصر الجماعة – منكرًا عليه لف الشيخ ودار ولم يعط جوابًا صريحًا وكان من كلامه أن قال : نحن لا نأخذ من الصوفية إلا ما وافق الربانية .

ولما سألني الشيخ الألباني عن موقفي من هذه البيعة الصوفية قلت له إن الشيخ قال وذكرت له تلك الكلمة فقال الشيخ ناصر :

ما شاء الله ليش هذا اللف والدوران؟ ما يوافق الربانية كلمة مطاطة .

وصدق الشيخ ناصر وضل إنعام الحسن عن طريق السلف واحتوته الصوفية وطرقها فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كثر الكلام عن هذه البيعة وكنت أقول هذه بدع لا تجوز فعزمت أن أسأل الشيخ ابن باز عن طريق الهاتف فسألت الشيخ ابن باز عن هذا الأمر فقال : لقد كلمته في ذلك ووعدني أن لا يفعل ذلك .

أقول رأس التبليغ يبايع على ذلك ورأس الإخوان البنا يلتزم الطريقة الحصافية فأين منهج السلف ؟!

ولما راجعت بعض أهل التبليغ في المسألة وهو الشيخ أحمد لات وكانت تلك المراجعة في اجتماعهم في بنجلاديش قال : نحن ما عندنا هذه الأشياء .

نعم أنكر – إن كان صادقًا – ما لم يعلمه وعلمه غيره فكان من ثمرة تلك الصوفية أننا رأينا – والله الذي لا إله غيره – رجالاً من قدماء التبليغ – حسب تعبير الجماعة – لهم أوراد من الطرق الصوفية قولاً وعملاً أذكار مبتدعة على طريقة الصوفية من هز الرأس يمنة ويسرة وما ذلك إلا من ثمار التربية الصوفية .

ولقد كانت لي قصة جرت معي أثناء خروجي مع الجماعة في بنجلاديش وكان مع الجماعة شاب من تونس اسمه محسن وخرجنا إلى بلدة هناك للدعوة ثم وافقنا في خروجنا مسجدًا فيه جماعة من الصوفية يذكرون الله على طريقتهم المبتدعة وكانوا يجلسون بعد صلاة الفجر فقرر أمير الجماعة أن نجلس معهم تأليفًا لقلوبهم — هكذا قال سامحه الله وكان من أهل مصر اسمه شعيب — فجلست الجماعة لكني والحمد لله لم أجلس ثم فوجئنا أن محسنًا الشاب التونسي بدأ يتعلق بالشيخ الصوفي بل أظهر للشيخ أن معه عهد وبيعة من أحد مشايخه ثم فوجئنا أن ذلك الفتى أُغمي عليه وأصبح في شدة من الأمر وامتنع من الكلام مطلقًا وبقي هكذا قرابة يومين أو ثلاثة بعد أن أخذ من الشيخ وردًا وكان إخواننا كلما كلموه ليطمئنوا عليه رد عليهم كتابة في ورقة وكنت متضايقًا جدًّا مما يحصل وفي اليوم الثاني أو الثالث جلس محسن وجلسنا حوله نهدئه ونطمئنه لأننا لا ندري ما الأمر فسأله أمير الجماعة – وكان اسمه شعيب من مصر– عن سبب سكوته فكتب محسن في ورقة وقرأنا الورقة فإذا هو يدعي أن رسول الله ﷺ جاءه في اليقظة — كما يدعي ذلك من يدعيه من غلاة الصوفية فما زال باب الصحبة مفتوحًا على مصراعيه فهذا لازم قولهم وإن نفوه – وأمره أن لا يتكلم أيامًا معلومة وهنا اشتد غضبي فطلبتُ من محسن أن يصف لي الرجل الذي قال له ذلك فرد علينا من خلال الكتابة بأنه رجل أبيض اللحية فقلت : ليس هذا وصف الرسول ﷺ في كتب السنة فما كان منه إلا أن قام نحوي صارخًا فضربني وشق ثوبي – سامحه الله – .

وكنت قد علمت من قبل أن جماعة البريلوية وهم جماعة صوفية في بلاد العجم تدعي أن رسول الله ﷺ حاضر ناظر يعنون أنه يحضر مجالس ذكرهم بذاته والجماعة أعني جماعة التبليغ لا يقولون ذلك بل ينكرونه بينهم دون أن يثيروا إنكار ذلك في بياناتهم — حسب ما علمت — ولكني فوجئت بمتابع قوي لمحسن — حسب أسلوب أهل الحديث - وهو أمير من أمراء جماعة التبليغ في مصر يدعى هشام كامل في دمياط وكان خارجًا عندنا في الإمارات أثناء وجودي هناك وفي ليلة دار الكلام عن دعوى بعض الصوفية من دعاويهم الباطلة أن رسول الله ﷺ قد يحضر بذاته مجالس الذكر أو يلتقي بذاته مع بعض الصالحين يقظة ففوجئت من الرجل أنه أقر بذلك بل — والله — حدثني عن الشيخ إبراهيم عزت — وقد كان أميرا للتبليغ في مصر في وقت من الأوقات أعني إبراهيم عزت — أن إبراهيم عزت يصلي أحيانًا مع رسول الله ﷺ في اليقظة !!

وقصة ثالثة وقعت في الإمارات فكان هناك شاب اسمه خميس يدعي أن شابًا من الجماعة يرى رسول الله ﷺ أحيانًا في اليقظة أثناء البيان وحدثني خميس عن نفسه — وكان من المجتهدين في الدعوة حسب تعبير الجماعة — أنه رأى بلالاً مؤذن الرسول ﷺ في اليقظة عيانًا لا منامًا وأنا أشهد الله على تلك الوقائع أنها حصلت ولا حاجة لي في غير الصدق فالله الموعد .

وأقول: ولا أرى إلا أن ذلك بسبب خلل في منهج الجماعة وأنهم في الحقيقة ليسوا على منهج السلف وقد تأثرت - قبل أن أعلم منهج السلف — ببعض تلك الأمور حتى تمنيت أن أر شيئًا من ذلك كما رأى غيري ولكن لم أر

شيئًا لأنها أوهام وتلبيسات من الشيطان على أهل الجهل .

ولذا قال الشيخ ناصر عنهم وصدق : صوفية عصرية. مع أنني كنت كما بينت في كتاب التبليغ أقول :

إن هذا — أعني الأذكار المبتدعة – مما يخالف منهج الجماعة واحتججت على ذلك بما بينه الشيخ يوسف في كتابه حياة الصحابة من الذكر المشروع ولكن القوم لا منهج لهم ينطلقون منه كأهل الحديث السلفيين فلذا تجد الشيخ منهم يبايع على الطرق الصوفية وينكر غيره ذلك .

وأقول: لقد ألّف الشيخ يوسف الكاندهلوي أمير الجماعة في وقته ابن الشيخ إلياس مؤسس الجماعة كتاب حياة الصحابة وهو متداول في يد الجماعة إلى يومنا هذا ليجعل هذا الكتاب منهاجًا للجماعة تسير عليه ترى ما الذي منع القوم أن يؤلفوا ولو رسالة صغيرة لبيان عقيدتهم التي ينادون بها ويدعون إليها أليس ذلك أشد ضرورة من تأليف حياة الصحابة مع أن المقتضي لبيان ذلك أهم لاسيما مع كثرة البدع والخرافات المنتشرة في الهند والباكستان ؟!

وهذا الأمر لا تختص به جماعة التبليغ فقط بل هو علامة للجماعات الإسلامية الحزبية حيث أن أمر الاعتقاد وتصحيحه أمر لم يأت وقته إلى الآن ولكن المهم البرلمان ثم بعد البرلمان العقيدة كما يدعي الترابي وغيره فلا عقيدة علموا ولا برلمان ....فمتى نفيق ؟!

أما آن لهم أن يفيقوا من الغفوة بعد التجارب المريرة والمحن والبلايا الكثيرة أم بريق السلطة أضعف البصر والبصيرة ؟!

كتاب تبليغي نصاب (منهج التبليغ)

من الكتب التي يعتمد عليها جماعة التبليغ كتاب تبليغي نصاب ومعناه بالعربية منهج التبليغ عاش معهم هذا الكتاب سنين طويلة تكاد تصل إلى عمر الدعوة ونشأتها وهو عبارة عن عدة كتب في كتاب واحد لمؤلفه الشيخ زكريا الكاندهلوي، وهذا الكتاب فيه من البدع والضلال الشيء الكثير ولما اشتد إخواننا أهل الحديث على هذا الكتاب وحق ذلك لهم والله وهذا الكتاب غير متداول إلا بأيدي الجماعة من العجم سواء في البلاد العربية أو بلادهم وعلمت بعض ما فيه من البدع والخرافات فقررت أن أسأل بعض شيوخهم كيف تركوا هذا الكتاب في يد الجماعة ؟!

فسألت الشيخ – مفتي لقبه - زين العابدين عن الكتاب فقال : هذا الكتاب لا يمثل منهج الجماعة وإنما هو عدة رسائل للشيخ زكريا جمعها التجار ليستفيدوا من ذلك وإنما طلب الشيخ إلياس من الشيخ زكريا أن يضع له بعض الرسائل في فضائل الأعمال فقط ولما علمنا الأشياء غير المناسبة في الكتاب قررالمشايخ أن يكلفوا الشيخ عبيد الله – وهو من شيوخ التبليغ – أن يحقق الكتاب ولكن الشيخ عبيد الله لم يفعل لظروفه – هذا جوابه ملخصًا .

ولما سئل الشيخ سعيد أحمد خان وأنا أسمعه – وكان أمير الجماعة في المدينة المنورة قبل تركه لها – عن قصة الكتاب قال : نحن قلنا مزقوا درود شريف .

أقول : كتاب يحوي الباطل والحق لا يميز العوام وهم جل جماعة التبليغ

كما هو الواقع يترك في أيديهم سنين وسنين يربُّوا عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ثم يعتذر عنه بمثل ذلك!! ترى كيف سرى الكتاب في الجماعة ؟!

وأين اتباع السلف في مثل ذلك — والله المستعان – ؟!

كما يترك غيرهم من الإخوان المسلمين كتاب العدالة الاجتماعية لسيد قطب وفيه ما فيه من تكفير صريح لبعض الصحابة، ثم الرجل يُمدح ويُجل ويُعظَّم ليل نهار فياللعجب ما تصنع الحزبية بأهلها ؟!

إن جماعة التبليغ خليط ومزيج كغيرهم من الجماعات الإسلامية الحزبية التي لا تنطلق في دعوتها من منطلق فهم السلف ففيهم بعض من تأثر بالسلف لاسيما إذا كان في بلد ترفع راية الدعوة السلفية، وفيهم الصوفية، وفيهم الأشعرية والماترودية، والمتعصبون للمذهب سواء المالكي أو الشافعي، وهكذا ليس لهم منهج واضح بيِّن، بل جمع ولا تفرق دون تمييز فيدخل الصوفي فيهم — كما رأيت ذلك — ويبقى على صوفيته وقد يترك صوفيته إذا وفق لمن يبين له ذلك من غيرهم وكذا أصحاب العقيدة الفاسدة كالإباضية الضالة من خوارج هذا الزمان — كفى الله المسلمين شرهم – فيخرج في الجماعة من يحمل هذا الفكر الضّال ويعيش به وهو مع الجماعة كما سأبين — إن شاء الله تعالى – .

ولقد كان لي قصة مع أمير التبليغ في عمان – مسقط ويدعى الشيخ خليفة، فقد التقيت به في الإمارات أثناء اجتماع للجماعة في العين في مسجد النور قديمًا قبل انتقال الجماعة منه، فسألته عن بعض الأمور فكان مما قال لي:

إننا ننصح الجماعة عندنا في عمان أن لا يقرؤوا باب رؤية المؤمنين لربهم

في الجنة من رياض الصالحين خوفًا من الفتنة .

قلت : لأن مذهب القوم في عمان مذهب الإباضية وينكرون رؤية الله.

وأقول: أهذا النصح من مذهب السلف وما الذي حمل السلف على بيان العقائد حتى في بعض الأوقات العصيبة والتي كان يتبنى خليفة المسلمين مسألة باطلة كما وقع زمن الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن وقتل من قتل من أهل السنة لبيانهم الحق في المسألة و لم يسكتوا ردا للفتنة بل إن الفتنة هي ضياع الدين بالسكوت فإذا سكتم وتكلم أهل البدع فما الذي ننتظره حينئذ أليس الضياع والتميع للعقيدة ؟!

لذا فلا تعجب عندما ترى بعض من يخرج مع الجماعة لاسيما من الشباب الذين يدرسون تلك العقائد الفاسدة ثم يخرجون مع الجماعة ويبقى كثير منهم على المذهب الباطل الذي درسه وغرس في قلبه وأذكر من ذلك قصة وقعت لي مع هذا النوع من الشباب العماني فقد التقيت مع شاب من هؤلاء في الإمارات العين مسجد المعترض – وكان اسمه عبد الله – الذين يدرسون تلك العقائد ورأيت فيه أدبًا جمًّا واجتهادًا في العبادة من قيام ليل وقراءة قرآن، وأعجبني ذلك منه، وبدأنا نتكلم في مسائل حتى وصل الأمر إلى الكلام في مسألة الرؤية فإذا بهذا الشاب الناسك ممن يعتقد بنفي رؤية المؤمنين لربهم، وتجادلت معه فكان من قوله: إن ثبوت الرؤية يستلزم الإحاطة بالله — وهذه من الشبه التي يعلِّمونها لأتباعهم هناك — ورددت عليه وبيَّنت له أن هذا خطأ، وأن رؤية الله تليق بالله بلا كيف، وأن رؤية الشيء لا تستلزم الإحاطة بالمرئي، كما تقول

رأيت السماء من غير إحاطة، الحاصل أن الشاب سكت ورجع إلى بلده ومـــن حبنا له أخذ بعض إخواننا عنوانه ليراسله في بلده وبعد فترة أرسل عبد الله رسالة إلى صديقي يعتب عليه فيها أنه عرفه بالضَّال يقصدني، وأنه فور وصوله إلى بلده عرض تلك الشبه — يعني ما بينته له — على العلماء فأزالوا تلك الشبه عنه وقـــد تكررت تلك القصة مع شاب آخر من الجماعة من ذلك البلد أيـــضًا وكنـــت خارجًا وقتها في الباكستان .

فهكذا يربي القوم أتباعهم لا وضوح ولا بيان فيما اختلف فيه الناس من أمور العقائد بل يُترك كلٌّ على ما اعتقد، وهم لا يقولون ذلك بأفواههم ولكـــن بلسان حالهم — وإن أبوا — يقولونه .

إن من المعلوم في أصول الجماعة – وسمعت ذلك منهم وسمعه غيري أيضًا – قولتهم المشهورة المستفيضة: نجتهد في هذا العمل ولا نعترض على الجماعـــات الأخرى ونحترمهم. وكما يقول ذلك غيرهم كالإخوان المسلمين نتعـــاون فيمـــا اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ولقد سألت الشيخ أحمد لات — كما بيَّنت ذلك في كتـــابي التبليـــغ — فقلت له : ما رأيكم في كيفية معاملتنا للجماعات الإسلامية ؟

فقال : الشيخ إنعام يقول — أمير التبليغ في العالم — نحن نجتهد في هـــذا العمل حسب الأصول كاملاً ولا نتعرض للجماعات الأخرى ولا نتـــهمهم ولا نتكلم عليهم بل نجتهد في عملنا دون التعرض لأحد.

أقول : ما أشبه تلك الكلمة بالكلمة التي يقولهـــا الإخـــوان المـــسلمون

وينشرونها ويعدونها من حسناتهم ألا وهي قولهم: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. نعم تشابهت مقولتهم لبعدهم عن منهج السلف .

أقول: إن المنهج السلفي يفرض على أصحابه ضرورة بيان الخطأ لأن هذا من سبيل واجب النصيحة للمسلمين سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، والسلف لم يسكتوا عن العقائد الفاسدة ويحترموا أهلها، بل كانوا يذمونهم ويحذرون منهم فإذا سكتنا عن الجماعات وما فيها من انحراف عن طريق السلف كان هذا البلاء العظيم الذي به يضيع الدين — ولا حول ولا قوة إلا بالله – .

إن وصف جماعة التبليغ أنهم على منهج السلف — كما ادعيت ذلك من قبل — خطأٌ عظيم وشهادة للقوم بما ليسوا له أهلاً، ذلك لأنه لا يختلف اثنان أن من أصول السلفية تمييز الصحيح من الضعيف بل والباطل من باب أولى، فهل الجماعة تراعي ذلك الأصل العظيم؟ وهل فيهم من يبين لهم ذلك ؟

والله إني لا يكاد ينقضي عجبي من نفسي أولاً ثم من غيري عندما نقول: إن الجماعة يتبعون منهج السلف، فإن القوم كما هو معلوم من حالهم قطعًا من غير ريبة لا تمييز لهم البتة في هذا الباب، فتجد الأحاديث الصحيحة والضعيفة والباطلة الموضوعة وما لا أصل له في دعوتهم، وانتشار ذلك فيهم أبين من أن يبين ويشاركهم في هذا النقص سائر الجماعات الحزبية كالإخوان وغيرهم، والكتب شاهدة لمن تتبع، ومن أثر ذلك أنك تجد القوم يتبنون أمرًا ويشتهر بينهم وأصله لا يصح، وانظر عندما تقع الجماعة في شدة أو أمر هام تجد أميرهم يوجههم لقراءة سورة يس عملاً بالحديث — زعموا — : " **يس لما قرئت له** " وهو لا أصل له

كما في كشف الخفاء للعجلوني ٢/٥٢٦.

بل إن الجماعة في الهند والباكستان يحافظون على ذلك أشد المحافظة على مرأى ومسمع من الكبار – فسبحان الله – .

تجد الجماعة في خروجهم إذا قل الطعام يقرءون سورة قريش لنزول البركة في الطعام ويتواصون بذلك فيما بينهم، تجد فيهم الحديث: " **أنت امرئ نور الله قلبك عرفت فالزم** ". ولا يصح إسناده، تجد فيهم: أن جبريل أتى إبراهيم حين ألقي في النار فقال له ألك حاجة فقال : **علمه بحالي يغنيه عن سؤالي**. ويتداولونه بينهم وهو منكر باطل، فقد أمر الله عباده بالدعاء مع علمه بحالهم، وتجد أحاديث كثيرة جدًّا من هذا القبيل ويجزمون بنسبتها لرسول الله ﷺ وللأسف لا تجد من يقتلع تلك الأمور الباطلة في الجماعة وقد كنت أعاني وأنا معهم من هذه المسألة وكنت أنكر ما أعرف بطلانه فكان بعضهم يقبل مني – جزاه الله خيرًا – وبعضهم يقول ليس لك همّ إلا هذا ضعيف أو صحيح، وقد سرت حكاية بين بعضهم ولولا انتشارها فيهم لما بينتها لما فيها من سوء الأدب مع حديث رسول الله ﷺ وهي أن رجلاً اعترض على بعض الجماعة في بيان له على حديث ساقه فقال له يا شيخ هذا حديث ضعيف فقال : له ألف سنة ما متن. وهذه – والله – كلمة كفر لو كانوا يعلمون .

والحاصل أن القوم ليس لهم في تمييز الحديث ناقة ولا جمل، فكيف يصح لهم اتباع السنة وهم قد ضيعوا أصلاً لا يمكنهم من دونه اتباعها ؟!

نعم يوجد فيهم على سبيل ما هو أقل من الندرة من يراعي هذا الجانب في

بياناته بل وقد ينكر كما كنت أفعل ذلك أنا وغيري ولكن من غيرهم استقينا ذلك، أما هم فقد ظهر حالهم .

وليس هذا التضييع لباب التمييز بين الصحيح وغيره مما تختص به جماعة التبليغ بل يشاركهم في هذا الأمر كثير وكثير جدًّا من الدعاة فضلا عن غيرهم وهكذا الأمر كلما بعدت عن السلف كلما قربت من الباطل فجزى الله أهل الحديث خيرًا قديمًا وحديثًا حفظوا لنا سنة نبينا فلهم المنة بعد الله — تبارك وتعالى — علينا .

إن جماعة التبليغ لو كانوا على منهج السلف لعظموا أهل العلم من أهل الحديث عمليًّا لا بالقول فقط، وتعظيمهم لأهل الحديث يكون بتعلمهم منهم والاستفادة منهم، ولكن ليس الأمر كذلك، أين أفراد الجماعة من علماء الحديث والفقه السلفيين في السعودية وفي الأردن واليمن وبلاد المغرب ؟!

الأمر كما قيل: **أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا**. كنت أسمع من الجماعة تعظيم العلماء وتوقيرهم ومحبتهم ولا أرى أثر ذلك في عملنا، يبقى الجاهل على جهله يقنع بما عنده من جهد الدعوة، نعم قد يزور العالم من باب الإكرام أما أن يلزم العلماء ويتعلم منهم فلا، وحالهم إلى كتابة هذه الأوراق هو كحالهم من قبل — والله المستعان — .



مفهومهم للتوحيد

ولما ضعف أو انعدم اتباع الجماعة للسلف اختل مفهوم التوحيد فيهم فتراهم يهتمون بجانب توحيد الربوبية، وجل بياناتهم إنما هو في توحيد الربوبية — وهو أصل هام من أصول التوحيد — وغفلوا عن الأصل الأهم وهو توحيد الألوهية فجل بياناتهم كما هو الواقع في بيان قدرة الله وأنه الرازق المتصرف في الأسباب وهذا حق لا ريب فيه ولكن لا تكاد تجد بيان توحيد الألوهية إلا ما ندر من بعضهم فلا تسمع منهم التحذير من عبادة القبور وهي منتشرة في بلادهم ولا التحذير من الاستغاثة والاستعانة بالأموات ومنع الصلاة في المساجد المقبورة بل يخرجون فيها ويصلون فيها كما هو معلوم مشاهد من حالهم، ولا تكاد تسمع في بياناتهم التحذير من التمائم البدعية الشركية وحالهم في هذا كحال الإخوان المسلمين، أن الأهم القضاء على شرك القصور قبل شرك القبور فمن أين بدأ الرسل ؟! ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾.

وقد كنت أرى بعض الخارجين يحملون في أيديهم تلك التمائم وهم قليلون جدًّا فيما رأيت ولا تكاد تسمع التحذير من الذبح للأولياء والصالحين عند قبورهم وهو أمر مشتهر في بلاد العجم والعرب ومع ذلك لا يعرضون للبيان والتحذير اللهم إلا ما ندر، وأذكر أنني لما كنت أسأل عن عدم بيان تلك الأمور فكان الجواب دائمًا نحن نبين لهم عظمة الله وقدرته فإذا جاءت في قلوبهم عظمة الله — حسب تعبيرهم — تركوا تلك الأشياء الشركية .

أقول : وما كانت تربية النبي ﷺ هكذا بل كان يعظـم الله في قلـوب أصحابه مع بيانه للباطل المنافي لعقيدة التوحيد .

ولذا فإنك لا ترى في الجماعة باب النهي عن المنكر لاسيما إنكار البدع والخرافات فمتى سمعت تحذير الجماعة – مثلاً – من المولد النبوي؟ البدعة المنتشرة في شتى بقاع المسلمين اليوم، وهذا غيض من فيض مما أهملته الجماعة في دعوتها فكان من السهل وجود تلك الشركيات في بعضهم ممن خرج معهم، وكان مما سمعناه منهم كثيرًا قولهم إننا نأمر بالمعروف فإذا أمرنا بالمعروف خـرج الباطـل والمنكر كما أنك إذا أضأت النور في موضع خرجت الظلمة مباشرة – حسب تعبيرهم – وهذا قول بطلانه أبين من أن يحتاج إلى بيان ولذا كان من الأصـول الفاسدة والتي يلهجون بها إلى الآن قولهم في ضمن أصولهم إنهم لا يتكلمـون في المسائل الخلافية وأمراض الأمة مما أورث أتباعهم ومن انتمى إليهم تميعًا عظيمًا في باب تغيير المنكر والبدع بل كنت أسمع منهم دومًا أننا إذا غيرنا المنكر باليد دون أن نخرجه من القلب فما الفائدة ؟!

فلا بد أن نغير المنكر ونخرجه من قلب صاحبه ثم بعد ذلك هـو يغـيره بنفسه – وأنا الآن لست بصدد الرد على هذه المتاهات وإنما أبين منهج القوم – ولقد كنت أستنكر مثل تلك الأمور حتى أنني سألت الشيخ الحمداوي – رحمه الله – قبل وفاته بزمن – وهو أمير الجماعة في المغرب – عن تغيير المنكر وموقف الجماعة منه فقال لي: نحن عندنا تقصير في مسألة تغيير المنكر ولا بد أن نعتـرف بذلك هكذا قال الشيخ – رحمه الله تعالى – .

توحيد الأسماء والصفات عند القوم

وأما توحيد الأسماء والصفات فإن القوم فيه ليسوا سواء — نتيجة طبيعية لعدم وجود منهج واحد يتبعونه — ففيهم من يثبت ذلك من شيوخهم وفيهم من يخالف في ذلك بل ثبت عندي أنهم يدرسون في بعض مدارسهم في الهند والباكستان العقيدة الماترودية المخالفة لعقيدة السلف الصالح، بل وفيهم — كما في بلاد الشام (سوريا) وغيرها — الأشاعرة وما ذلك الاضطراب إلا لأن الجماعة لم تجعل من وظيفتها تحقيق تلك الأصول العقدية فترتب على ذلك أن الفرد منهم يعتقد ما يراه حقًّا من خلال جهده وعلمه الخاص لا أن الجماعة تتبنى منهاجًا واحدًا وهو اتباع السلف وشاركهم في ذلك الإخوان المسلمون فهم ليسوا في باب العقائد على عقيدة واحدة ولكنهم خليط كجماعة التبليغ، يهونون من شأن توحيد الأسماء والصفات مثلاً ارجع إلى كلام البنا — رحمه الله — في رسالة العقائد تجد صدقي إن أردت الحق .

أقول : وأنت إذا نظرت إلى أهل الحديث السلفيين لاسيما علمائهم بل وطلبة العلم منهم وجدتهم في هذه الأصول على كلمة سواء في بقاع الدنيا وما ذلك إلا نتيجة طبيعية لثبوت منهج واحد واضح يربون عليه عموم المسلمين — إذ لا جماعة يتحزبون لها ولا أمير ولا تنظيمًا سريًّا ولا بيعة ولا إمارة خاصة ولا تحزب وتكتل - ويأمرونهم به كل حسب ما يستطيعه من الفهم وفي النهاية تجد منهاجًا واحدًا لا اضطراب فيه .

لقد استطاعت جماعة التبليغ أن تربي أتباعها على منهج واحد في الوسائل

— وسائل دعوهم — وأصولهم الدعوية بل العجيب أنك ترى العاميّ فيهم والذي قضى معهم زمنًا غير طويل يعلم تلك الأصول ويلهج بها لا تخفى عليه وأدخلوا كتاب حياة الصحابة كل بيت — في الغالب — من بيوت أتباعهم لأنهم جعلوا هذه الأمور من ضروريات دعوتهم فاهتموا بها ودعوا إليها بقوة فآتت ثمارها في الجماعة وصارت أشهر فيهم من نار على علم فلو أن هؤلاء كان عندهم من الحرص على تثبيت منهج السلف وعقائد السلف في أتباعهم لرأيت ذلك على الأقل كوسائلهم في أتباعهم ولكن الأمر لم يكن كذلك في يوم من الأيام لا في أول نشأة الجماعة ولا في آخرها، إذ فاقد الشيء لا يعطيه، وأنت إذا نظرت إلى جماعة الإخوان وجدتهم يعلمون شبابهم الوصايا وأصول الجماعة من طاعة المرشد ونظام الجماعة فإذا جئت للعلم وجدت ما تجد، والصوفية يعلمون المريد ورد الشيخ فهل هان علينا رسول الله ﷺ حتى استبدلنا متبوعًا غيره والله الموعد.

وأذكر - ولا أنسى — أنني لما ناقشت الشيخ الألباني ووجدت الشيخ يدعي أنهم لا يتبعون السلف في عقائدهم وأن فيهم الأشاعرة وغيرهم ناقشهم الشيخ في الشام فاحتججت عليه — رحمه الله — أنني قد سألت كثيرًا من شيوخهم العجم منهم عن عقيدة الأسماء والصفات فأجابني بمنهج السلف فاستغرب الشيخ ذلك واستنكره ثم قال لي هب أن الأمر كذلك في تلك البلاد وأن لهم رأيًا يوافق السلف فهل هم يربون جماعتهم على هذا المعتقد وينشرونه فيهم ويؤصلونه في الجماعة ؟!

وكان هذا السؤال سؤال رجل عالم خبر حال **الجماعات القائمة** اليوم في

الساحة لأن الأمر كما وصف بل ثبت عندي من أكثر من وجه — بعد تلك الأسئلة التي ذكرتها للشيخ وناقشت فيها بعض شيوخ التبليغ في قضية الأسماء والصفات — أنهم يدرسون ما يخالف ذلك في بعض مدارسهم مما يؤكد أن من أجابني منهم بأجوبة حق في قضية الأسماء والصفات إنما هو رأي له لا منهج الجماعة، بل ولا يؤصلون ذلك لا في عوامهم ولا في طلاب العلم المتمذهبين، بل طلابهم يدرسون ما يخالف منهج السلف من التأويل الباطل والمذهب الباطل في المعاهد التي يدرسون فيها والمدارس، ثم لا بيان ولا إيضاح لتلك الأمور لهؤلاء الطلبة فيعيشون على هذا المعتقد وهم مع الجماعة مجتهدون في الدعوة ومن كان من شيوخهم في التبليغ يتبنى موقف السلف في مثل تلك القضايا فيحتفظ لنفسه بما يعتقد وإن بين ذلك عرضًا وفلتة لا أصلاً ولا تقعيدًا في الجماعة بينه على استحياء.

إن جماعة التبليغ لا تتبنى فكرة نشر منهاجهم عن طريق الكتب والرسائل لذا فقد حيرت الناس حتى العلماء في حقيقة أمرهم ومنهجهم، فترى العالم يمدحهم سنين ويزكيهم بأنهم يدعون إلى التوحيد الخالص ثم بعد أن يظهر له حالهم يحذر منهم وقد كان من قبل من الذابين عنهم، لذا فإن من خبر حال القوم ولازمهم سنين وهو محب لهم مقر بفضلهم عليه ثم هو يبين ما هم عليه من مخالفتهم للسلف لحري أن تقبل شهادته فيهم ويقدم قوله على من مدحهم و لم يخالطهم ومن لم يصدق فلينظر بعين الحق والإنصاف

لحال القوم وما هم عليه منصفًا متجردًا من الهوى .

موقف الجماعة من العلم الشرعي

وإذا تكلمت عن العلم الشرعي في الجماعة حزنت والله لحالهم فقد زهد القوم في الدنيا وبذلوا أموالهم في سبيل الدعوة التي ينشرونها ولكن للأسف زهدوا أيضًا في العلم الشرعي من الكتاب والسنة الصحيحة وحالهم أظهر من الشمس فإنك يندر أن تجد فيهم طلبة العلم الشرعي لاسيما الكبار - وأهاب أن أجزم أنه لا يوجد - فضلاً أن تجد فيهم عالمًا سلفيًّا بل عامتهم وجلهم — سواء أمراءهم أو غيرهم — هم من العوام على تفاوت بينهم جهلة بالحديث، عوام في أبواب العقائد لا يستطيعون معرفة البدعة من السنة في كثير من الأمور فتجد فيهم — مثلاً — خروج النساء للدعوة إلى الله كالرجال مع أزواجهم، يخرجون من بلد إلى بلد وهذا الأمر مما انفردت به الجماعة عن باقي الجماعات وهو العجب العجاب فمتى خرجت أمهات المؤمنين مثل هذا الخروج المبتدع ؟!

وتجد خروج جماعة الأقدام وهم الذين يخرجون على أقدامهم لا يستعملون وسيلة تنقل، فهل فعل ذلك رسول الله ﷺ في دعوته للناس أو فعل ذلك السلف ؟!

وتجد فيهم الدعاء الجماعي الذي هو فيهم ليل نهار وليس هذا من السنة بل اتخاذه عادة لا شك في بدعيته وتجد كثيرًا منهم لاسيما الأحناف من أهل العجم ما أن يفرغ أحدهم من صلاته حتى يضع يده على رأسه يقرأ أذكارًا معتمدين في ذلك على ما لا أصل له من الحديث، وتجد فيهم أحيانًا الاجتماع

على قراءة سورة يس – كما قدمت – وتجد القوم في واد والعلم في واد آخر والكثير منهم ممن حسنت نيته يحترم العلماء ولكن لا علاقة له بهم، ووجدت في بعضهم غمز العلماء ولمزهم وأحيانًا يصرح من خفت تقواه منهم فيقول هؤلاء العلماء لم يحملوا هم الدين ولا عرفوا حقيقة الجهد النبوي، وهذا والله سمعته من بعضهم كثيرًا حتى وصل الأمر أنني أشهد بالله على واحد منهم من أهل الأردن يعيش في الإمارات وهو من قدماء التبليغ – حسب تعبيرهم أي ممن قضى سنين طويلة مع الجماعة وفهم أصولها – لما جاءت سيرة الشيخ الألباني قال: إن الأعداء قد وضعوا جواسيس لتضييع الأمة والله أعلم بحقيقة الشيخ ناصر، ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن لا أرى فائدة من تسميته فإنه سينكر ذلك بداهة وهكذا رأيت من أهل السعودية من يلمز الشيخين ابن باز والعثيمين وكان ذلك في حضور أكثر من رجل في المجلس فاشتد أحدهم وهو من الجماعة على قائل ذلك وكثيرًا ما تسمعهم يزهدون في العلم بمقولة مشهورة عندهم ألا وهي قولهم – حسب تعبيرهم – إن الأمة الآن تحترق فكيف نشغل أنفسنا بالعلم وندع الأمة تحترق بل الآن جهد الدعوة هو الأهم .

وأقول : وهل يمكن للدعوة أن تتحقق بالجهل؟ وهل الجهل هو الذي سيطفئ نار الأمة ؟!

وفي الوقت الذي تجد هذا في الجماعة تجد أيضًا من يعظم العلماء ويذكرهم بالخير ويثني عليهم ويحب العلم ويرجو أن يتعلم ولكن هو مشغول بالدعوة والجهد لا يجد الوقت الذي يتعلم فيه ومن العجائب قول كثير منهم

هؤلاء العلماء لماذا لا يخرجون معنا كي يعلموننا ونستفيد منهم وتجد من يقول بل نحن نذهب إليهم نتعلم منهم — ولا يفعلون — فهل هناك زهد في العلم والعلماء كهذا ؟!

إن أكثر الجماعة لا يعرفون قراءة القرآن ولا أحكام الصلاة مع أن الشيوخ عندهم يأمروهم بذلك ولكن الشيوخ لم يجعلوا ذلك أمرًا أساسيًّا فنتج من تضييع ذلك الجهل المتواتر عن الجماعة، حتى إنهم مشتهرون بذلك عن كثير من الدعوات القائمة اليوم فقوم لا يقودهم عالم بل ولا طالب علم فكيف يكون حال دعوتهم ؟ وكيف يتعلمون وهم لا علاقة لهم بالعلماء عمليًّا؟!! أليس ذلك من أوضح البيان أن الجماعة قد أضاعوا منهج السلف بل أضاعوا ما هو دون ذلك من العلم الضروري ؟!

يقولون نهتم بالعلم مع الذكر ويجعلون ذلك من الصفات الست التي يدندنون حولها وهم في واد والعلم في واد آخر وأنا لا أقصد أن يكون كل من فيهم عالما بل أن يكون فيهم بعض طلاب العلم حتى يتسنى لهم أن يتعلموا دينهم أما أن يقنعوا بحالهم ويجدوا ويجتهدوا في الدعوة فهذا هو اتباع الهوى والإعراض عن الكتاب والسنة .

منهج الجماعة تجاه عقيدة السلف

أ – توحيد الربوبية والألوهية

هكذا عنونت في كتابي التبليغ ونقلت عن بعض الشيوخ منهم ما سمعته منهم مباشرة مما يدل أن منهجهم في توحيد الربوبية موافق لمنهج السلف – كذا زعمت – وفي نقلي هذا عنهم تحت هذا العنوان ما هو حق من كلامهم وباطل فمن باطله ما نقلته عن الشيخ زين العابدين من تفسيره لحقيقة كلمة التوحيد وأحمد لات والشيخ ظهير وكلامهم كلهم يدور – كما هو مبين في كتابي التبليغ – على تفسير كلمة التوحيد بتوحيد الربوبية من بيان قدرة الله في التصرف ونحو هذا كما وافقهم سيد قطب على ذلك في الظلال .

وهذا غلط في تفسير كلمة التوحيد لأن تفسيرها الأصل فيه وإن تضمن ما ذكروه لكن أصل الكلمة لبيان أنه لا يصح صرف العبادة لغير الله على أي وجه من الوجوه فلا تصرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى ولا معبود بحق إلا الله وهم يلقنون أتباعهم في الصفة الأولى وهي كلمة التوحيد أي لا معبود بحق إلا الله يلقنونهم ذلك ثم لما تنظر في بياناتهم وبيانات أتباعهم تجد أن حاصله تفسير الكلمة بمعنى توحيد الربوبية وليس هذا بحق وتجد جل التوحيد عندهم أننا نخرج من قلوبنا اليقين الفاسد – كذا يقولون – وهو الاعتماد على الأسباب وندخل في قلوبنا اليقين الصحيح على ذات الله تعالى وهذا الكلام بعيد عن توحيد الألوهية مما جعل

الأمر عند هؤلاء القوم أن توحيد الربوبية هو الأصل وأهملوا توحيد الألوهية وصار هذا شعارًا لهم مما جعلهم يبتعدون كثيرًا جدًّا عن أصل التوحيد الذي بعث من أجله الأنبياء وهو توحيد الألوهية والأسماء والصفات وقد كان الكفار يقرون في الجملة بتوحيد الربوبية فجعل الشرع إقرارهم حجة عليهم لإثبات توحيد الألوهية فانظر كيف أخطأ القوم فأهملوا بيان الأهم من التوحيد في دعوتهم وما ذلك إلا بسبب بعدهم عن منهج السلف الصالح ﷺ.

ب – توحيد الصفات والأسماء

وتحت هذا العنوان الذي عنونته في كتابي ذكرت مناقشتي مع بعض شيوخ التبليغ – زين العابدين والحمداوي وجمشيد وأحمد لات في مسألة الأسماء والصفات لله – تبارك وتعالى – وكان ردهم موافقًا للحق، وأنبه على شيء مهم وهو أننا حتى لو افترضنا أن هذا هو منهج بعض الجماعة فإن ذلك لا يستلزم البتة الشهادة لهم أنهم على منهج السلف حتى يتابعوا السلف في سائر أمورهم الدعوية والعقائدية فكيف وهم ليسوا على منهج واحد – كما أوضحت – في توحيد الأسماء والصفات ؟!

فإننا نرى جماعة من الإخوان المسلمين وهم السرورية القطبية يثبتون الأسماء والصفات لله ويجعلون ذلك حجة على سلفيتهم وقد خالفوا السلف في كثير من منهاجهم حتى صاروا حربًا ونكدًا على أهل السنة .

وسائل جماعة التبليغ

أقول : لقد بينت في الفصل الثاني من كتابي التبليغ وسائل الجماعة واستدللت لها بشيء من التفصيل والبيان ولقد أخطأت في دفاعي عن جماعة التبليغ مرتين مرة عندما زعمت أن منهجهم هو منهج السلف والأخرى عندما نصرت وسائلهم ودللت عليها — وقدر الله وما شاء فعل — وقد أخطأت في كلا الأمرين — كما سأبين إن شاء الله — وقبل البيان أحب أن ألفت النظر أنه إذا لم توافق أي جماعة تدعوا إلى الله منهج السلف فإن وسائلها - والأمر كذلك - لا قيمة لها وإن وافقت الشرع في الظاهر، لأن أصل المنهاج فيه خلل وهذا كما هو حال جماعة التبليغ فوسائل في منهاج مختلط فيه الحق بالباطل والسنة مع البدعة ما ثمرتها ؟!

لقد دافعت عن وسائل الجماعة من عدة نواح فدافعت عن خروج الجماعة بقوة بحجة إرسال النبي ﷺ جماعة من القراء وهم الذين أرسلهم رسول الله ﷺ وجاءه ناس فقالوا أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون - كما روى الحديث الإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث ٣٥٢٢ وروى أيضًا البخاري في مواضع من صحيحه نحوه.

فاستدللت به على خروج الجماعة وهذا من خطئي وتحميلي للحديث ما لا يحتمله — عفا الله عني — فإن الحديث صريح في أن هؤلاء القراء من العلماء

الذين كانوا يتعلمون القرآن والسنة ثم تأهلوا لأن يكونوا معلمين لغيرهم كما هو واضح من الحديث فهم من خيرة علماء الصحابة ﷺ جميعًا كما هو واضح بين في الحديث فالحديث حجة على مشروعية خروج العلماء إلى البلاد التي يرون حاجتهم للتعليم والدعوة إلى الكتاب والسنة - عند الحاجة - لذلك فأين هذا من خروج العوام للدعوة بل خروج العصاة لإصلاحهم — كما تقول الجماعة — في الدعوة ؟!

حقيقة أقول إنني غلبتني عاطفتي في الدفاع عنهم حتى أخطأت في الاستنباط وكما قيل: **حبك الشيء يعمي ويصم** وهو حديث ضعيف لا يصح سنده .

وقد تنبهت لهذا الخطأ أثناء البحث فقلت هناك — صفحة ١٣٣- بعد أن قررت ما سبق ولقائل أن يقول نحن نسلم بكل ما قلته ولكن ربما خفي عليك أن هذا الإرسال الذي أرسله رسول الله ﷺ إنما كانوا علماء بخلاف خروج جماعة التبليغ فإنهم يخرجون عوامًا للدعوة فكل ما ذكرته واضح ولكن للعلماء دون غيرهم وأما أن تلحق العوام بالعلماء فهذا فيه نظر وهو قياس مع الفارق.

هكذا أوردت على كلامي هناك هذا الاستشكال ثم أجبت عنه بخطأ جديد حاصله أنني زعمت أن خروج العوام ثابت في زمن النبي ﷺ واستدللت لذلك بحديثين الأول حديث ضمام عندما جاء يستثبت من رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام ثم رجع رسولاً إلى قومه بذلك كما رواه البخاري في صحيحه ٣٥/١، ثم حديث وفد عبد القيس عندما وفدوا على رسول الله ﷺ فعلمهم

شرائع الإسلام وأمرهم أن يحفظوها ويخبروا من وراءهم كما رواه البخاري ٢٩/١ ومسلم ٤٧/١.

فاستدللت بهذين الحديثين على أن قيام العامي بالدعوة له أصل في السنة .

وأقول ابتداءً نعم، العاميّ له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيما علمه وأبصره لا سيما في الأمور الظاهرة الجلية، وهذا الأمر لا إشكال فيه والحمد لله وحديث ضمام غاية ما فيه أنه لما سمع العلماء الذين بينوا لهم شرائع الإسلام جاء متثبتًا من ذلك فأقر رسول الله ﷺ ذلك وأقره أن يكون رسولاً إلى قومه بذلك ونحن اليوم لو جاء من يتثبت من العلماء عن شيء من الشرع فلا شك أنه يأمر بنقل ما علمه لغيره في حدود استطاعته فهل جماعة التبليغ تفعل ذلك ؟!

إن الحديث حجة على الجماعة لا لهم فإنهم لا يسافرون إلى العلماء ليتعلموا منهم ثم يرجعوا إلى قومهم يبلغونهم ذلك، بل يخرجون مع الجهل مكتفين بما هم فيه، فأين حال خروج الجماعة من حال ضمام ووفد عبد القيس حتى يحتج بالحديثين على ما تفعله الجماعة في خروجهم وهل كان السلف يخرجون العوام للدعوة إلى الله حتى بلاد الكفر كما تفعل الجماعة وهل المقتضي لخروج العاميّ للدعوة لم يكن قائمًا من لدن عصر النبي ﷺ حتى زمننا طيلة هذه القرون إلى أن وجد مقتضيه في زمن الشيخ إلياس ؟!

لا — ورب الكعبة — ما فعل السلف ذلك ولا من بعدهم إلى زمن الشيخ إلياس — رحمه الله — ولا علماء السنة فعلوا ذلك أو أمروا به لا في زمن إلياس ولا في زمننا، فمن من علماء زمننا أمر عوام بلده بذلك؟ فهل أدرك الشيخ إلياس أمرًا

غاب عمن قبله ومن بعده من العلماء من أهل السنة؟ أم هي بدعة عصرية نـتج عنها بقاء هؤلاء العوام على جهلهم وعدم استفادتهم العلم من أكابرهم ؟!

إن أهل العلم من أهل الحديث السلفيين الطائفة المنصورة الناجية الـذين أُمرنا باتباعهم لم يفهموا من تلك الأحاديث الصحيحة ما تقوم به الجماعة مـن الخروج المحدث الذي يغلب فيه العوام بل هم الأصل فيه لكثرتهم ولو كان حقًّا لما غاب عن أهل العلم – رحمهم الله – بل الواجب أن يتعلم هؤلاء العوام دينهم وأن يتفقهوا في الضروري من العلم بالنسبة لهم ثم إن تيسر لهم أن يأمروا بالمعروف أو ينهوا عن المنكر في أهلهم ودورهم فخير وبركة وهكذا ما زال أمر العامـة مـع العلماء لا الواقع في جماعة التبليغ.

ثم بينت بعد ذلك ما تقوم به الجماعة من تحديد أوقات معروفة عنـدهم للدعوة وقلت إن هذا من باب المصالح المرسلة وهذا خطأ لأن المقتضي لترتيب أيام للدعوة ما زال موجودًا طيلة زمن النبوة وهلم جر و لم يعتبر الشرع زمنًـا معينًـا للدعوة بل ترك ذلك حسب مقدرة العلماء واستطاعتهم، ولما لم ينظر الشرع إلى ذلك الاعتبار في التوقيت كان بدعة سواء جعلوا ذلك ترتيبًا أو تحديدًا لا يـصح الزيادة عليه أو النقص منه – وهم لا يجعلونه تحديدًا ملزمًا – وانظر كيف كـان موقف الصحابي الجليل صدّيق هذه الأمة أبو بكر ﷺ عندما عرض عليه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ جمع القرآن بعدما كثر القتل في القراء فخـشي عمـر ﷺ ضياع القرآن بسبب ذلك فقال له أبو بكر ﷺ مستنكرًا : كيف أفعل شـيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ.

وموقف زيد بن ثابت عندما أمره أبو بكر بذلك فرد عليه : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ. — كما رواه البخاري في صحيحه ٤/١٧٢٠.

فانظر إلى هذا الأثر ما أعظمه يستنكر الصدِّيق ذلك الجمع مع علمه أن القرآن كان يكتب في زمن النبي ﷺ وكذا زيد بن ثابت ﷺ جميعًا ومع ذلك لم يجعل ذلك مسوغًا للجمع الذي طلبه عمر ﷺ بسبب ما استجد من المقتضي لذلك مما لم يكن في زمن النبي ﷺ لمجرد اختلاف الوصفين وصف كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ والوصف الجديد الذي طلبه عمر و لم يقل الصدِّيق إن هذا كذاك بل توقف في وسيلة متفقة مع الوسيلة النبوية أصلاً ومختلفة عنها وصفًا حتى بين له عمر — رضي الله عنهما — الوجه في ذلك وأن المقتضي وهو قتل القراء قد استجد مما أحوجنا لجمع القرآن.

فهذا الأثر يبين للجماعات الإسلامية اليوم التبليغ وغيرهم أنهم يجب أن يراعوا هدي رسول الله ﷺ في دعوتهم وفي وسائل دعوتهم وأن لا يجعلوا تلك الوسائل حسب ما يرون دون ذلك القيد السابق ألا وهو أن ينظروا في تلك الوسيلة أن لا تكون مخالفة لنص شرعي وأن لا يكون المقتضي لها قائمًا في زمن التشريع، فإن كان المقتضي قائمًا في زمن التشريع ثم لم يعمل بها النبي ﷺ كان تركه لها دليلاً على كون تلك الوسيلة بدعة لا يجوز العمل بها وقد أخلت الجماعات الإسلامية ومنها جماعة التبليغ بهذا الأصل الهام في دعوتهم حتى دخلت البدع في كثير من وسائلهم – والله المستعان —

وعلى تلك الجماعات الإسلامية أن تصحح مناهجها في العقائد والسلوك

على وفق ما كان عليه السلف الصالح وإلا بقيت كما هـي أحـزاب تتنـاحر وجماعات مشتتة تمزق الأمة بحزبيتها تمزيقًا.

وإنك إذا نظرت لحال جماعة التبليغ ترى أن القوم في هيئة وطريقة دعوتهم لا يتوافقون مع دعوة النبي ﷺ فالصفات الستة المعروفة عندهم وجعلـها وسـيلة ينطلقون من خلالها لتربية الأمة — وإن كانوا يقرون أنها من الـدين لا كلـه — والأيام التي يحددونها للدعوة والأصول التي يلقنونها لأتباعهم بترتيب معين معروف عندهم لا ترى تلك الأمور من هدي رسول الله ﷺ يتخذها وسـائل في دعوتـه على نحو ما يفعلون وخير الهدي هدي محمد ﷺ فلو أن القوم كانوا يسيرون على المنهج السلفي في دعوتهم لما وقعوا في هذه المخالفات في أصل دعوتهم ووسـائلها أيضًا لا أعني أنه لا يوجد في وسائلهم ما يوافق السنة بل فيهـا الموافـق للسـنة والمخالف لها وكذلك منهاجهم تعرف وتنكر وترى منهجًا مختلطًـا فيـه الحـق والباطل وسر ذلك أن القوم لا ينطلقون من منهج السلف الصالح وفاقد الشيء لا يعطيه .

الفصل الثالث والأخير من كتابي

وهذا الفصل الأخير من كتابي التبليغ جعلته لمناقشة الكتب التي ألفت في الرد على جماعة التبليغ وحقيقة أقول – دون مجاملة –:

إن في هذه الكتب ما أوافق عليه وما أراه خطأ نسب إلى الجماعة وهم براء منه، وفي الجملة فجماعة التبليغ ليست على منهج السلف المنهج الحق بل هي من الجماعات التي خالفت السلف في منهاجهم بل هي من الفرق التي حذر الرسول ﷺ منها ولا أرى جواز الخروج معهم ومتابعتهم بل الواجب التحذير منهم ومن مخالطتهم ووجوب مناصحتهم كغيرهم من المسلمين وهذا الذي أدين الله به .

وليعلم القارئ الكريم أنني لم أغفل عن المصالح والخير الذي أجراه الله على يد جماعة التبليغ سواء في البلاد الإسلامية أو بلاد الكفر، فأنا على علم بذلك ولكن الحكم على المناهج لا يكون بمثل ذلك النظر، وإنما يكون بمدى موافقة ذلك المنهج للسلف الصالح، فكم من الأنبياء لم يتابعه أحد على دعوته ولا آمن به فالميزان الحق إنما يكون بمدى تمسك الجماعة بالكتاب والسنة الصحيحة بفهم السلف الصالح وأما التقييم بما حققته الجماعة من مصالح فرضًا فليس هو الميزان الحق الذي توزن به تلك الجماعات .

وقد اغتر بعض الناس بما حققته جماعة التبليغ من مصالح فزكاهم وحكم على منهاجهم من هذا المنطلق وهذه – والله – غفلة ممن فعل ذلك وإنما الضابط

في الأمر ما سبق بيانه .

وقد كان في كتابي بقية أمور تحتاج إلى رد رجعت عنها ولكن ما بينته من موقفي وتراجعي يغني عن بيان ما بقي من المسائل والتي يرجع تحقيقها في آخـــر الأمر إلى ما سبق بيانه .

ولا يقولن قائل: إنك لم تبين منهج الجماعة من خلال كتبهم أو أشرطتهم حتى لا يبقى في الأمر ريبة.

لأنني قلت كما سبق البيان إن القوم ليس لهم كتب في بيـــان منـــهاجهم وليس ذلك الأمر من أصولهم بل ولا يعتمدون في نشر دعوتهم علـــى الأشـــرطة والرسائل وإنما يعرف منهاجهم بالمخالطة وبه يستبان وهذا هو الذي وقع مني وأنا أعلم أن الناس سيكون موقفهم من رجوعي وكتابي الموافقة والمعارضـــة ولكـــن حسبي أنني قد بينت ما أدين الله به ورجعت عن خطئي حتى لا يحتج بقـــولي أو بكتابي أحد من الناس.

وأقول لإخواني من جماعة التبليغ والإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية لا يحملنكم بعض ما في كتابي هذا من الشدة إن وجدت أن تدعوا ما فيه من الحق وأرجو أن تحتملوا بعض تلك الشدة إن كانت فوالله إني لكم ناصـــح وعلـــيكم مشفق وقد حاولت أن أتجنب جانب الشدة وأرد بالرفق ليكون الحق أســـهل في القبول و لم يحملني ذلك الرفق على عدم الصدع بالحق وبيانه ولـــيعلم الجميـــع – كلمة حق أقولها – أنني لا أنتقد جماعة التبليغ فحسب بل إن الجماعات الإسلامية اليوم والأحزاب السياسية تتفق جميعها في مخالفة السلف على تفاوت بينها في البعد

عن منهج السلف وإن جماعة الحق هم أهل الحديث السلفيون – علماء وطـلاب علم شهد لهم وزكاهم العلماء – وهم الطائفة المنصورة الناجية التي لم تـدعو إلى تحزب وتكتل يفرق شمل الأمة ولا نتعصب لعالم منهم دون غيره بل كل يؤخـذ ويرد عليه هذا الذي أعتقده وأدعو إليه وأسأل الله أن أحيا عليه وأبعث عليه.

وقبل أن أنهي بحثي أنقل فتوى للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بـاز – رحمه الله تعالى – في جماعة التبليغ وهي آخر ما أفتى بهٔ الشيخ في جماعة التبليـغ قبل وفاته فقد كان تاريخها قبل وفاة الشيخ – رحمه الله – بنحو سـنتين تقريبًـا وهي مأخوذة من بعض أشرطة الشيخ من دروسه شرح المنتقى في مدينة الطائف وإنما تقصدت فتوى الشيخ دون غيره لأن الشيخ كان في أول الأمر ينصرهم بشدة وقد يشتد أحيانًا على من يتكلم فيهم حتى قال مرة : دعوهم لا أبا لكم فإما أن تكفوا عنهم ألسنتكم أو تسدوا النقص الذي قاموا به.

وكان ينبههم على أخطائهم ثم الشيخ تواتر عنه عفـة اللـسان والرفـق بالمخالف فما كان الشيخ ليجرح القوم مع ما حباه الله بـه مـن ورع وتقـوى وحسن خلق وعلم نافع يشهد له بذلك البعيد والقريب – سوى من طمـس الله نور قلبه – إلا وقد ثبت عنده مخالفتهم لمنهج السلف – فرحم الله الشيخ ما أجمل رجوعه إلى الحق – .

سئل الشيخ – رحمه الله تعالى – :

أحسن الله إليك حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم قوله : " **ستفترق أمـتي على ثلاث وسبعين فرقة إلا واحدة** ".

فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع وجماعة الإخـــوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم الـــسمع والطاعة هل هاتين الفرقتين تدخل ....؟

فأجاب :

تدخل في الثنتين والسبعين من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنـــتين والسبعين المراد بقوله :" **أمتي** " أي أمة الإجابة أي استجابوا له وأظهروا اتباعهم له ثلاث وسبعين فرقة الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينـــه واثنتـــان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع أقسام .

فقال السائل : يعني هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين ؟

فأجاب : نعم من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئـــة وغيرهـــم المرجئـــة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين لكـــن داخلـــين في عموم الثنتين والسبعين .

وهذا آخر ما أفتى به الشيخ حول جماعة التبليغ والإخوان المسلمين وبـــه أقول ولا نحكم بالنار على أحد بعينه وبهذه الفتوى أنهي كتابي .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

فرغت منه يوم الأربعاء ليلة الخميس- سوى ما أصلحت بعد - بتـــاريخ ١٤ – جمادى الأولى – ١٤٢٣ الموافق ٢٤ – يوليو – ٢٠٠٢

قرية ناي – قليوب – القليوبية – مصر ت: ٠٠٢٠٢-٢١٣١٥٨٢
وكتب أبو محمد خالد بن عبد الرحمن بن زكي المصري

فهرس